النظم السياسية والإسلام:

ثالثة الأثافي:

ثم انتقلنا إلى قضية أساسية وهي معنية في الكتاب الذي بثالثة الأثافي ، ثالثة الأثافي ، هي أن الأثفية الثانية جاءت للمرأة على العموم وقضاياها المتعددة ، وكلمة ثالثة الأثافي شاعت على كثير من الأسنة الناس في كثير من التعبيرات يعبرون بها عن الشيء الفظيع فكأن ما قبله قد يحتمل وما بعده لا يحتمل والأثافي جمع أثفية، وأثفية هي الحجر الذي يوضع تحت القدر ليسنده ، القدر حين يوضع يحتاج إلى ثلاثة أحجار: حجر على اليمين وحجر على الشمال وحجر خلف القدر ، عادة لا نضع شيئا في الأمام لأننا نريد أن نضع الوقود ، يكون هناك ثلاثة أحجار. فكان الناس قديما حين يضعون القدور يكتفون باثنتين فقط ، أثفية على اليمين وأثفية على اليسار ثم يكتفي عن الأثفية الثالثة بالجبل.. يأتي بواحدة يمينا وواحدة شمالا ويسندها إلى الجبل.. فالجبل يكون ثالثة الأثافي ، انظر إلى الجبل بالنسبة إلى الحجر الموضوع يمينا والحجر الموضوع يسارا هذا كاف لها ، لأن الجبل ضخم قوي. ثالثة الأثافي يعني الداهية العظيمة.

ظاهرة تعدد الفرق الإسلامية:

وثالثة الأثافي لأنهم قالوا: يجب أن تستغلوا ظاهرة إسلامية ، هذه الظاهرة الإسلامية تنقض قضية فيها من أساسها لأن الإسلام لم يعد يجمع بل آل أن يكون مفرقا فاستغلوا هذه الظاهرة في الإسلام ، الإسلام في الأول جاء ليجمع. الإسلام ألآن في بلاد المسلمين وجد ليفرق. وآثار ذلك ظاهرة فغي كل بلاد الإسلام. فالمذاهب والطوائف الحمقى والفئات التي اتخذت من

دين الله ألوانا. كل طائفة أخذت لونا تعصبت له ولم تـر الإسـلام إلا فيـه ، بـل ربما تنزل بها الأمر أن تكفر المذاهب الأخرى. تلك قضية جعلـت الإسـلام، وسـيلة تفريـق لا وسـيلة تجميـع. انظـروا كيـف أنهـم أعـدوا لـذلك الأمـر بالأساطين من أساتذة التبشير وفطاحل رجـال الكهنـوت والمتمرسـين بـأمر الدعوة والتبشير وعلماء الجامعات في علوم الاجتماع والسلالات والأنـساب البشرية والمهتمين بشئون العالم والدارسين له والواقفين على حقيقـة تكوينـه ، لا شك أنهم رأوا للإسلام مذاهب وطرقـا وطوائـف ، وكـل مـذهب يـرى أن مذهبه هو الأحق أن ينسب إليه الإسلام أو ينسب إلى الإسلام ويكفر الطوائف الأخرى ، وعلى هذا يصبح الإسلام لا مبدأ تجميع للناس ولكنـه يـصبح مبـدأ تفريق. استغلوا هذه المسألة وقالوا لهم: أي إسلام هؤلاء صحيح؟ فـإن كـان الإسلام صحيحا في مذهب فالمذاهب الأخرى باطلـة. وإن كـان صـحيحا في طائفة فالطوائف الأخـرى باطلـة ، إذن فيجـب أن تـدخلوا مـن بـاب تمزيـق الإسلام بالمذهبية والطائفية ، إلى أن الإسلام ليس هو الإسلام وأنـه إن وافقـه واحد فقد خالفه كثير من هؤلاء.

انظروا كيف درسوا قـضية الإسـلام ، وانظـروا كيـف مهـد المـسلمون يجعل دينهم فرقا وقدموه إلى أعدائه ليدخلوا من هذا الباب.

وصدق الله إذ يقول:

﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (الأنعام:١٥٩).

هذه الظاهرة إنما نشأت لأي شيء؟ لخطأ المسلمين ي فهـم كثيـر مـن قضايا الدين الأساسية.. التي جاءت من عد الله.. والله حق.. والله حكـيم.. لا يمكن أن يأتي شيء إلا وفيه مصلحة للخلق.. ولا يمكن أن يعمل لمبدأ يفـرق الخلق.. أن يتسلل إلى منهجه ، لأنـه حـق ولأنـه حكـيم وكثيـر مـن المبـادئ

الوضعية لها ظاهرة تذوق ودافع يجذب.

فمثلا الشيوعية لها لون يجذب وبالتطبيق يظهر اللون الذي لا يجذب الرأسمالية لها لون يجذب وبالتطبيق يظهر اللون المنفر.

إذن كل ناحية من نواحي التفكير البشري لا يمكن أن تدخل على العالم لتغزوه بقبح إجماعي ، بل لابد أن تدخل عليه بلون جمالي مزخرف وإن سترت في طيها أشياء ، إذن فكل أمر يهتدي إليه الفكر لابد أن يكون له ناحية جمال تغري ويستطيع الإنسان أن يقدمها بين يدي الخلق ، مثلا في النظام السياسي يوجد شيء أسمه ديكتاتورية ويوجد مقابل لها على النقيض " ديمقراطية ".

اعذروني في استعمال هاتين اللفظتين الوافدتين على اللغة والوافدتين على بيئة الإسلام لأننا أخذنا كل حضارتنا مستوردة من الخارج ، النظام الديكتاتوري حيث يجيء لابد أن تكون فيه فكرة تريح الناس ، لكي يتغلغل. وبعد ذلك يجيء في طي الأشياء أنه ديكتاتوري ، الديكتاتوري يقول لو أن كل أمر أردنا أن نصلح به ، وأردنا أن نأخذ رأي الناس لما التقينا على شيء ولذلك جاءت المقولة: لا ينفع الشرق إلا مستبد عادل ، ماذا يعني بمستبد عادل؟ مستبد: لا أحد يستطيع أن يقول له لماذا فعلت هذه؟ ويكون عادلا لكي لا يترك أي شيء له حق.. لماذا؟ حتى يخرج من غوغائية النقاش وجماهيرية الاستفتاء. إذن الديكتاتورية لها لون قد يصيب في أن الأمور يبت فيها بسرعة وبحزم. ولا تدخل فيها الغوغائية ولكن من يضمن لنا أن الذي يفعل ذلك ينفذ كل الأمور على وجهها الصحيح ، ولا يأتي إلا بقضايا عدل وقضايا حق؟ إذن ذروة الشر تأتي من الناحية الأخرى يكون هناك ملامح خير وملامح شر.

والديمقراطية.. الناس تفطن لما تفعله وأمرها يطول ، هذا يأخذ وذاك يجيء وتكون عملية كبيرة حتى نعمل قرارا فتؤجل كثيرا من أعمال

الإصلاح. ولكنها فيها ملمح جمالي وملامح قيمة. إذن هذه فيها كذا وهذه فيها كذا، مثل الشيوعية فيها ناحية حسن والرأسمالية فيها ناحية حسن ولكن الرأسمالية فيها ناحية الحاكم. الاشتراكية فيها ناحية الاستقرار الاقتصادي المادي. إذن لا يوجد أي نظام على الجماهير إلا إذا كانت فيه ناحية جمالية..

وكان المفروض طالما أن، العصر عصر التقاء أن نلتقي في مثل هذه المسائل لا إلى تجربة قضايا متقابلة أو متقاربة. لماذا إذن هذا يكون له أنصار وهذا يكون له أنصار؟

لو نظرت إلى دين الله لوجدته قد أخذ جوانب الحسن في الديكتاتورية وترك ملامح القبح فيها. وأخذ الحسن في جوانب الديمقراطية وترك ملامح الشر فيها فأعطانا الأمرين بفائدة وبعدالة، فالأمور التي يجب أن يبت فيها بحزم ولا تترك لأهواء البشر لها مجال شرعها الله تشريعا ولا يجعل لأحد عليها استفتاء أبدا.

ومن هنا حينما نصل إلى القضية التي يريد أن يستغلها خصوم الإسلام ليدخلوا منها إلى تشكيك المسلمين في دينهم وإيمانهم.. هذه القضية هي أنهم يقولون إن الإسلام لم يعد أداة تجميع. بل أصبح في بلاد المسلمين وسيلة تفريق، فكل مذهب يكفر المذاهب الأخرى، وكل طائفة تكفر الطائفة الأخرى.

وهكذا أصبح الإسلام طوائف متعددة ومذاهب متباينة لا تعيش في التآلف والتناصر. ولكن تعيش في فلك الجدل والتناحر.

وللرد على هؤلاء نقول:

إن خصوم الإسلام يريدون أن يدخلوا إلى المسلمين من هذه الزاوية

فنقول إن العلماء الإسلاميين أو الجمهرة الإسلامية يجب أن تنتبه إلى أمر مقصود للمشرع أعلى.

هذا الأمر هو أن كل أمر من أمور الحياة فيها أمور يجب البت فيها بحسم وعزم وعدم تردد.وأمور أخرى من الممكن أن تؤدي نواحي الخير على أي لون من الألوان. فالحركة الحياتية محكومة بأمرين: أمر ضروري أن يوجد سريعا مبتوتا بحزم.. وأمور تأتي هينة ، ومن الممكن أن تأتي على الناس باختياراتهم لتخلق لهم مبدأ الذاتية في الاختيار ، ولا تكبت أدوات الاختيار في نفوسهم... " وهو العقل.. أداة الاختيار بين البديلات ليشعر الإنسان أن له رأيا فيما يطمئن عليه.

وقلنا إننا إذا نظرنا إلى المبادئ الوضعية في البشر وجدنا نظامين:

النظام الأول يسمونه " ديكتاتوري "

ونظام يسمونه "ديمقراطي ".

و "الديكتاتوري " ظاهرته الأساسية الاستبداد في أخذ القرار بدون مشورة أحد.

والديمقراطي الأمر فيه يأتي من أسف ثم يترقى إلى أن يصير مبتوتا فيه. وكل مبدأ من مبادئ البشر، ولو كان وضعيا يستغل وجوده بإبراز ناحية الجمال فيه. ثم يستر وراءه ما يريده من نواح أخرى " فالديكتاتورية " تستغل هذا.

إننا لو أخذنا آراء الناس في كل قضية لتأجل كثير من القضايا ودخل الجدال وخل التناحر كل شيء. فلابد من أشياء تظهر ناحية الجمال فيها و ولكنها تستر في داخليها ناحية أخرى من نواحي الشر ، تدس فيها نواحي أخرى من النواحي التي تكن حيثية وجود الديكتاتورية.

obeikandi.com

والديمقراطية لم تخل من ناحية الجمال فيها.

ومن العجيب كما قلنا أننا نجد المبدأين موجودين في زمان تكاد تكـون الفرصة فيه واحدة وتكاد الإمكانية فيه تكون واحدة ، وتكاد الروح السائدة أن تكون واحدة وتكاد الالتقاءات أن تكون واحدة.

نقول إذن في كل.. ناحية مـن نـواحي الجمـال. ولكـن هـذه الناحيـة لا تقتصر على ناحية الجمال بل تدس في ثنائها كثيرا من ملامح تناوئ الإسلام.

ولو نظرنا إليه كدين من الحـق الحكـيم وجـدناه محـتملا للنظـريتين ، فالأمور التي يراد البت فيها بتا.ويحزم الأمـر فيهـا حزمـا وحـسما يـذهب إلى حزم الدكتاتورية. بحيث لا رأي لأحد فيها.

ويظهر ذلك بوضوح في قول الله تعالى ﴿ وَمَا كَـانَ لِمُـؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَـةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (الأحزاب:٣٦).

حكم مبتوت فيه.. أنه إذا قـضى الله ورسـوله وحكـم في أمـر.. فـلا راد لحكمه ولا جدال بعد حكم الله و " لا معقب لحكمه ".

وهناك أمور تركها الله للنفس الإنسانية التي تتميز بالعقل ، والعقل الذي مظهره الاختيار بين البديلات.. ترك لها مجالا لتنمي فيه هذه الملكة وليكـون الأمر بما ينتهي غليه هذه العقول المفكرة.

فيكون الإسلام قد جمع بين الميزتين:

ميزة الحكم والبـت في الأمـور التـي لا يريـد أن يؤرجحهـا أو يجعلهـا متراخية حتى تكون بينة.

وأمور تركها لأنها إن جاءت على أي وجه من الوجوه فـلا يحـصل منهـا حذر.

في القضية الأولى يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ (المؤمنون:٧١).

وفي القضية الثانية يقول الله تعالى: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء:٨٣) ويقول الله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ ﴾ (آل عمران:١٥٩).

ولذلك فإن المشرع " محمدا ﷺ " يقول له ربه إن كان الأمر قد نزل به حكم من السماء ، فلا رأي لنا نحن البشر فيه. لأن السماء لها علم ليس لنا ، وإن لم يكن نزل فيه أمر من السماء كالمكيدة في الحرب. " ونشير عليكم بكذا وكذا ". هذا يمثل الرأي لحالي وهذا يمثل الرأي المستنبط. ونم أراد دينا أو مذهبا يحقق ألأمرين معا يجده في الدين الإسلامي.

ويمتاز الإسلام بأن الديكتاتورية فيه ليست من مساو. يعني ليس الديكتاتور من جنسك لأني أنا وأنت نحكم بإله آمنا جميعا به وأنه إله فوقنا قدرة وحكمة.

إذن بالإسلام يعطيني ميزة الديكتاتورية بدون جبروت الديكتاتورية واستعلائها وإذلالها.

وأيضا لم يحرمني من ملامح الحسن في الديمقراطية وحق الرأي والمشورة وحق الاختيار بين البديلات وهكذا يجب أن ينظر علماء المسلمين إلى قضايا الإسلام.. فلا تجعل الأمور التي زحزحها الله عن مجال الحكم الحازم والبت الذي لا اختيار لنا فيه ، لا ينقل هذا إلى المسائل التي ترك الله فيها للمسلمين المشورة .

يقول الله تعالى:

﴿ وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (آل عمران:١٠٣).

إذن فالمسلمون الآن هم الذين فتحوا الباب وجعلوا الملحدين يجدون منافذ يدخلون بها علينا ليهدموا لنا قضية إيماننا وإسلامنا.

كلامنا الآن ليس مع هؤلاء الذين يريدون بنا الكيد ، ولكن مع القوم الذين فتحوا الأبواب والمجال لهؤلاء ليدخلوا.. نقول لهم: راجعوا فهم دينكم من جديد ، واعلموا أن القضايا التي بت الله فيها وحكمها قضايا لو ترك الله فيها أمر الاجتهاد واختيار لفسدت السموات والأرض.

وأمور ترك الله لنا فيها الاختيار ، لنا على أي لون لن نجتمع إلا على خير.

آية الوضوء بين الدكتاتورية والديمقراطية:

وضربنا كثيرا من الأمثال لهذه المشاكل في قضية واحدة مجتمعة. لم نأت بشيء من قضية على شيء من قضية أخرى يعني لم نلفق القضايا بعضها ببعض ولكن نبحث في قضية واحدة ونتأمل في حياة المشرع من منطقة المشرع الأعلى في آية واحدة. وفي حياة المشرع الثاني عن الله وهو رسول الله ﷺ " فتلك نص وهذه تطبيق ".

نقول لهم تعالوا: انظروا إلى قول الحق سبحانه وتعالى في هذه القضية التي هي قضية واحدة.

فمثلا قضية الدخول إلى الصلاة فإذا أردنا أن ندخل إلى الصلاة فلابد أن نتوجه للوضوء أولا ، فآية الوضوء فيها المثل كله. يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾ (المائدة:٦).

فلو فطنوا إلى التعميم في الوجوه وعدم التقييد فيها وإلى التقييد في الأيدي في قوله إلى المرافق إذن لأراحوا واستراحوا وعلموا منهج الله كما يريده الله. الوجوه لم يحددها الله ﴿ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ ﴾ أطلق غسل الوجه دون تحديد أو تقييد لن الوجوه لا اختلاف فيها عند العرب في مفهومها فالوجه مفهوم بالإجماع.

ولكن الأيدي يقع فيها خلاف مرة تطلق ويراد بها الكف ومرة تطلق ويراد بها الأنامل إلى المرفق ، وهذه إطلاقات تطلق على يد فلو أن الله سبحانه جلت قدرته ترك التقييد في اليد إلى المرافق لكان لمجتهد أن يقول هي الكف. ولمجتهد أن يحدد حسب اجتهاده ، وهذا يمكن لو أن الأمر ترك للاجتهاد ولكننا نقول: لا اجتهاد في ذلك لأن الله يريدها على وجهه محدد وما دام يريدها على وجه محدد فيكون مددا في الآية.

والوجه غير محدد.

إذن تحديد الأيدي دليل على أن هذا القدر هو المراد للشرع ، وبذلك حسم الأمر حسما لا مجال فيه للخلاف.

ثم قال بعد ذلك ﴿ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ ﴾ لم يقل امسحوا رءوسكم كما قال اغسلوا وجوهكم هذا غسل صحيح ، وذلك مسح ، وهذا غسل يفيض عليه بالماء وهذا مسح لا يفيض عليه بالماء ".

فمن هنا الأمر أن فيهما خلاف: أمر بالغسل لابد فيه من جريان الماء على العضو أما المسح فيكفي فيه وضع اليد مبتلة على الرأس.

obeikandi.com

المهم أن نعرف قدر الممسوح لو كان الله يريد أن يحدد قدر الممسوح لقال: وامسحوا بعض رءوسكم أو كل رءوسكم أو ربع رءوسكم مثلما حدد غسل اليدين إلى المرافق ولم يجعلها من باب اغسلوا وجوهكم، ولكن جاء فيها بالباء فالباء في اللغة لها إطلاقات متعددة تحتمل وجوها كثيرة.

وما دام الله عدل عن الأسلوب الذي قاله في قوله: ﴿ فَاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ﴾ ولم يقل امسحوا رءوسكم. بل قال برءوسكم والباء محتملة لمعان متعددة، لذلك قال قوم إن الباء معناها الاستعانة ولذلك قالوا بمسح الرأس كلها، قال قوم إن الباء للتبعيض والمسح لا يكون إلا باليد واليد هي الراحة الممسوح بها وهي قدر الربع.

إذن فكل مجتهد أخذ الحكم من معاني الباء كل ما يريده، الله لا يريد لونا خاصا يحكم به الأمر فإذا ذهب مجتهد إلى أنها لكل ومجتهد آخر إلى أنها الربع ومجتهد ثالث إلى أنها البعض، ولو شعرة. إذن فكل هذه الاجتهادات تفهم عن الله. وما دامت عن الله فيجب أن نحترم رأي كل مجتهد.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ ﴾ (المائدة:٦).

نحترم رأي من قال البعض ونحترم رأي من قال ربع، لأن الباء احتملت رأي من قال الكل، ومن قال البعض، كل هذه الاحتمالات في نطاق الباء شائعة ولكن الآفة أن من يقول بهذا يحاول أن يجعل فهمه هو الأصوب.

يا أخي لو كانت المسألة يراد منها أصل لا متزحزح عنه، لكان صاحب التشريع أولى بأن يعدل هذا الأصل.

ولكنه حين لم يعدله احترم وجهة النظر، لأنها إن جاءت على أي وجه

فهي مقبولة عنده ، وما دامت مقبولة عن المشرع ، فليس لك أن تلزم المـشرع بفهمك أنت.

بعض الناس يرى أن اجتهاده هو الحق ، وإن اجتهـاد غيـره هـو الباطـل وأنه باجتهاده يمثل وجهة نظر الإسلام.

وهذا لا يمثل وجهة نظر الإسلام ومن هنا جاء الخلط والتخبط.

رسول الله ﷺ لم يدع المسألة في فهم نفهـم، ولكـن جـاء الـنص في واقـع عملي تطبيقي ، ليدلنا على أن أمر المشرع إن كـان محكمـاً ف مجـال لا جتهـاد أحـد. وإن كـان محـتملاً فالمـشرع نفـسه شـرع الاحتمـال ، ومـا دام شـرع الاحتمـال نـشاء عـن هـذا قـضية أصـولية الحـق واحـد صـادفه واحـد مـن المجتهدين وأخطأه الثاني ، الحق متعدد لكن في الحكم واحد.

****